السرد والتاريخ أية علاقة؟

بوشرة بومزيان
جامعة ابن طفيل– القنيطرة
كلية الآداب واللغات والفنون
المغرب

تقديم

لقد تعددت الوسائط التعبيرية التي حاولت نقل التجربة الإنسانية وتبسيطها، في محاولة لبناء هوية إنسانية وثقافية قابلة للمعاينة والإدراك. وهي محاولة كذلك لفهم عالم خارجي استعصى على الفهم والترويض. وقد عمل الإنسان منذ غابر الأزمان على إثبات وجوده ككائن حي(بشري) مختلف عن باقي الكائنات المتواجدة في الطبيعة، فسعى إلى ترك الأثر، وتوثيق وجوده باعتباره ذاتًا فاعلةً داخل منظومة تتعدد فيها الموجودات والأكوان الدلالية الصامتة، وباعتباره ذاتا موجهة نحو موت لا راد لقضائه. وهي محاولة كذلك لتأريخ الأحداث والتجارب والوقائع التي تعبر، في نهاية الأمر، عن تاريخ أمة وشعب. ويعد التاريخ أحد هذه الوسائط التي سعت، في المقام الأول، إلى تسجيل الأحداث وتدوينها؛ أي إن التاريخ ذو وظيفة توثيقية تعنى بتسجيل الوقائع والأحداث. فالكتابة التاريخية نشاط معرفي أصيل تعرفه الإنسان ومارسه مع بداية اكتشافه للكتابة؛ حيث حاول من خلاله تدوين حياته وسيرورتها، والتركيز على موضوعات وجد أنها تستحق التوثيق والأرشفة، وفي المقابل أهمل أخرى لم يجد أنها تستحق ذلك. ومن ثم، فإن فالغاية منه هي نقل التجارب الإنسانية في إطار من الموضوعية والحياد، كما يدعي ذلك علماء التاريخ، غير أن هذه الموضوعية تظل محط نقاش وتشكيك بالنظر إلى العوامل والمؤثرات والدوافع التي أدت إلى إفراز العمل التاريخي. وفي المقابل يحضر السرد باعتباره وسيلة إبلاغية تعبر عن الواقع وأحداثه، أي إنه ينهض بالوظيفة ذاتها التي يقوم بها التاريخ. بإمكان السرد، أكثر من غيره، احتضان تعقيدات الحياة البشرية ولم شتاتها، وذلك باعتماده على الكلمات والتقطيع اللغوي الذي يمكنه من التعبير بقوة عن الواقع المعيش، وعن التجربة الإنسانية بشكل يمس الفرد والجماعة على حد سواء. فهو نظام لإنتاج المعنى، وليس مجرد معطيات مرتبة ومنظمة وفق تسلسل زمني معين "**إن السرد ليس شيفرة "code" بين العديد من الشفرات الأخرى التي يمكن أن تستخدمها ثقافة معينة لإسباغ معنى على تجربتها، بل هو شيفرة بعدية (metacode) ومعطى إنساني كوني يمكن على أساسه نقل الرسائل عبر الثقافات حول طبيعة واقع مشترك**"[1]. فالوقائع والأحداث هما من طبيعة مشتركة، وحده السرد القادر على إبراز وإضافة طابع الاختلاف والتعدد والتمايز. فما هي أوجه الاختلاف والتعالق بين التاريخ والسرد؟

1– مفهوم التاريخ

إن لفظ "التاريخ" يحيل في "المعجم الوسيط" إلى: " **جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية، والتأريخ تسجيل لهذه الأحوال**"[2]. إنه بحث عن ثقافات الأمم والمجتمعات، وعلم له قواعده وضوابطه الخاصة، يتوخى بناء تصور دقيق وواضح عن العالم وتجاربه الماضية. وبهذا المعنى فهو خطاب وثيق الصلة بالوقائع والأحداث الواقعية، مما يجعل منه خطابا نفعيا ذا مقاصد محددة" **إنه خطاب نفعي يسعى للكشف عن القوانين المتحكمة في تقاطع الوقائع... فالتاريخ يقدم نفسه على أنه انعكاسات وصياغة لفظية لأحداث واقعية**"[3] . ومن ثم، فهو علم مرتبط بالوقائع الفعلية والأحداث الواقعية.

وقد عرفه "**ابن خلدون**" باعتباره " **خبرا عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال**"[4].

واستنادا إلى ذلك، يمكن القول إن التاريخ تعبير عن المجتمع وأحداثه وتغيراته وتقلباته، وتعبير عن ثقافته وحضارته، وما راكمته الشعوب والأمم من انتصارات وإنجازات وانهزامات وانكسارات. وهو ما يدل على أن العلاقة بين التاريخ والمجتمع هي علاقة متأصلة ومترابطة تقوم على أساس الإبلاغ والإخبار عن البنية الاجتماعية والمجتمعية، وما يطرأ عليهما من تقلبات وتغيرات وتحولات. أي إنه يرصد السيرورة الثقافية والاجتماعية والسياسية الخاصة بفئات ومجتمعات معينة بغرض الإبلاغ والتوثيق وتبادل التجارب والخبرات. فالتاريخ هو دراسة أحداث وقعت في الماضي هدفها فهم الحاضر واستشراف المستقبل واستجلاؤه، وذلك بالاعتماد على مجموعة من الوثائق والشهادات سواء أكانت مكتوبة أو شفهية.

وفي هذا الصدد ميز **عبد الله العروي** بين تاريخين: تاريخ عام (تاريخ الوقائع): وهو مجموع الأحوال والأحداث التي عرفها الكون ومرت عليه حتى اللحظة الراهنة، وتاريخ محفوظ (الأخبار): وهو مجمل ما يعرفه المؤرخ.

وقد أكد أن التاريخ مرتبط بالتدوين والكتابة؛ أي مرتبط بالمعلن عنه، وما تم تداوله والتطرق إليه، وبالتالي، لا يمكن الحديث عن تاريخ في غياب التوثيق والتسجيل والتناول سواء الكتابي أو الشفوي. فلا تاريخ سوى المذكور والموثق والمثبت، ولا مذكور سوى ما تناوله الإنسان، وعليه فالتاريخ يعبر عن الإنسان وصادر عنه من أجل خدمته، وضمان تواجده ولو رمزيا، وذلك من خلال الإمساك بماضيه ومنجزاته، والوقوف عند الإكراهات التي واجهته، أي استحضار وقائع الماضي وأحداثه "**إن التاريخ حقا هو تاريخ البشر للبشر وبالبشر. أما ما سواه فهو إما تاريخ بشري مقنع أو خاضع لمنطق آخر، منطق الملاحظات{الطبيعيات} أو الكشف {الغيبيات}**[5]. وهو صفة مرتبطة بالإنسان الذي منح للموجودات طابع الوجود الفعلي المحقق من خلال توظيفه للمنظومة اللغوية بكل أشكالها وأنواعها.

ومن ثم، لا يمكن أن نجادل في كون التاريخَ إنسانيٌ، فالإنسان هو موضوع التاريخ، ينبثق منه ليعود إليه؛ بحيث يبحث في ماضيه، ويحاول أن يفهمه، ويعمل على ربطه بالحاضر بغية استشراف المستقبل. وبهذا المعنى، فالحدث التاريخي لا يتكرر، وله علاقة بالذاكرة الإنسانية المحلية والكونية، ومن هنا كان الاهتمام بالماضي وأخباره، ليس من أجل اجتراره وتكراره، وإنما بغية التأمل فيه، واستخلاص الدروس والعبر، وتجاوز التعثرات والإخفاقات. إنه ينطلق من الحاضر ومجرياته وأحداثه ليعود إلى ماض ولى وانتهى تاركا مخلفات وآثار كثيرة.

تأسيسا على ما سبق، يعد التاريخ من أقدم العلوم التي توخت دراسة الإنسان في الزمان، على اعتبار أن لا وجود خارج منطق الزمن والزمنية، وأن ما احتفى به التاريخ، ودونته اللغة هو ما يجد له حيزا زمانيا ومكانيا في الثقافة والعالم ككل. إنه يمثل الدراسة الشاملة والدقيقة لمسارات وحيوات الأجيال خلال فتراتٍ ومراحلَ ماضية. ومن هذا المنطلق يمكن القول إنه تعبير عن ذاكرة البشرية، فهو احتياطي مهم من الأحداث والتجارب والخبرات التي مرت بها الشعوب والحضارات المتعاقبة، والتي حاول الإنسان تدوينها من أجل تتبع السيرورة الإنسانية، ونسج ذاكرة جماعية قادرة على احتضان الفعل الإنساني، وتشكيل وعاء يحوي التجارب المختلفة التي عاشها الإنسان.

إن المؤرخ، في نهاية الأمر، إنسانٌ تحكمه معتقداتٌ وانتماءاتٌ فكرية واجتماعية وثقافية وسياسية، يتأثر بها وتسيطر عليه، لتقوده وتجعله أسيرا لها فيتخذها معيارا يقيس به صدق المضامين من عدمها. أي إن الكتابة التاريخية محكومة بمواقف شخصية، وهو الأمر الذي يفسر تضارب الآراء واختلافها من جهة إلى أخرى، ومن شخص إلى آخر. وغالبا ما يتعامل المؤرخ مع الوقائع والأحداث والمعطيات مغلبا وجهة نظره، وأحيانا يستسلم لحدسه وتوجهاته السياسية والفكرية. وهو ما معناه أن المؤرخ يدرس ويؤول ما توفر لديه من معطيات وتفاصيل ليختار منها ما بدا له حقيقيا، وبالتالي فأطروحته "**تأويل لما اعتقد أنه القصة الحقيقية، في حين أن سرده كان تمثيلا لما اعتقد أنه القصة الواقعية**"[6]. وهو ما يدفعنا إلى القول بأن التاريخ لا يؤسس لحقيقة موضوعية وخالصة "**ليس في التاريخ حقيقة صافية، حقيقة خالصة نظيفة نهائية، مؤكدة تماما، ثمة معطيات متوفرة، شذرات وقائع نتداولها(أرشيف) من يدري كم منها زائفة ومحورة أو مؤسطرة، أو ناقصة... هذه المعطيات والشذرات والوقائع يتعامل معها المؤرخ من خلال وجهة نظره ويستخدم حدسه أحيانا، حتى وإن لم يعترف بهذا، ينتقي بمقتضى ميوله وتحيزاته بهذه الدرجة أو تلك. ومبدع العمل السردي المتخيل، بالمقابل، لا تهمه إن كانت المعطيات حقيقية، إن كان الأرشيف صادقا وكاملا، فهو لا يدعي أبدا أنه يقول الحقيقة كما حصلت، ولن تقلقه الحاجة إلى الموضوعية، إنه أكثر حرية، وأقل تبجحا بكثير**

من المؤرخ فذلك المبدع يعترف، ما يهمني هو الصدق الفني لا التاريخي"[7]. الأمر الذي يجعل الكتابة التاريخية محط تشكيك وريبة من طرف قارئ يأتي إليها محملا بمعارف وأفكار ومعطيات تجعله ينقب ويتحرى صدقية المنقول، ويعمد، في أحيان كثيرة، إلى مقارنة المرويات في الموضوع الواحد للوقوف عند الدعامات التي زكى بها كل طرف تصوراته وادعاءاته. ومن ثم، فإن المؤرخ يرسم الماضي وأحداثه بريشة صنعتها قناعاته وأفكاره.

2–علاقة السرد بالتاريخ

لطالما تم ربط التاريخ ببناء الهوية، ونقل التجارب والأحداث عن طريق الشهادة سواء الشفهية أو المكتوبة، وهو الأمر الذي يجعله يتداخل مع الكتابة السردية التي تتوخى بدورها تبسيطَ الظواهر الإنسانية الفردية والجماعية، وبناء ذاكرة إنسانية تتجاوز الفردي لتمسك بالمشترك والجماعي. إن السرد والتاريخ هما عبارة عن أنظمة لبناء المعنى، ذلك المعنى المشتت، الذي يتوارى خلف مفاهيم عامة لا يمكن فهمها واستنباطها وإدراكها إلا من خلال بنى لغوية تسمي وتوسع وتنظم موضوعات هذا الكون، هذه الموضوعات التي لا تعدو أن تكون مدلولات صامتة وجافة. ومن هنا برزت رغبة الإنسان في تحويل تجاربه الحياتية إلى قصص وروايات وبناءات سردية بغية فهمها وفهم تفاصيل لم يكن ليدركها لولا انتظامها في قالب سردي دال. ومن خلال هذه البنى السردية يفهم ذاته، ويصحح مساراته، ويتغلب على مخاوفه وهواجسه؛ وبالتالي يتجاوز إخفاقاته، ويمجد إنجازاته، ويبني على أساسها تصوراته وطموحاته وأهدافه. ففي كل تجربة سردية تمثيل لأحداث واقعية يعيشها الأنا أو الآخر بطريقة أو بأخرى. وهو ما معناه أن الرواية، باعتبارها إحدى تجليات السرد، تمتح من الواقع والأحداث الواقعية، وتنقل ما يعيشه الإنسان من ظروف اجتماعية وتاريخية واقتصادية وسياسية، غير أن طريقة نسجها وتفصيلها للوقائع والأحداث تجعل الإنسان يعيش حالة من الترقب والانتظار والتطلع.

إن الرواية جنس أدبي يجمع بين تقنيات الكتابة وتنوع المضامين، تخلق الفضول عند القارئ، وتجره لتتبع تفاصيلها، لأنه، بطبعه، مشدود إلى البدايات بقدر تطلعه إلى الخواتيم والنهايات. غير أن الروائي مهما أغدق في العالم المتخيل، يظل مرتبطا بالواقع، ويدور في فلكه، ويتغذى منه. فالسرد والرواية، خصوصا، هي بناء يستلهم وجوده من الأحداث الواقعية ليبني عالما مغلقا مكتفيا بذاته، لكنه عالم يفسر العالم الحالي الذي نعيش فيه. فمن خلال الفعل السردي نبتغي امتلاك بنيةٍ ونظامٍ للمعاني، وليس مجرد تتابع واسترسال للأحداث. إننا نتوخى من خلال الكتابة التاريخية والسردية الحفاظ على الموروثات الثقافية والاجتماعية والسياسية، وبناء ذاكرة إنسانية كونية " **فالتاريخ بشكل عام والسردية بشكل خاص هما مجرد تمثيلية أنتج من خلالها المجتمع ذاتا إنسانية متكيفة على نحو خاص مع ظروف الحياة، في دولة القانون الحديثة"**[8].

واستنادا إلى ذلك، فالرواية تاريخ والتاريخ رواية غير أن الروائي لا يكتفي بسرد أحداث مؤطرة بنصوص معينة، تقيده وتجعله غير قادر على الإفلات منها، وإنما يتحرر ليترك بابه مشرعا أمام خيارات عديدة وعوالم تخييلية غنية " **إن التمثيل التاريخي يسمح للقارئ بإطلاق العنان «للخيالي» بينما يظل المؤرخ محكوما بقيود «نظام رمزي» لكن بطريقة تولد فيه شعورا «بالواقع» يكون «أكثر قابلية للفهم» من وجوده الاجتماعي الراهن"**[9]. وبينما يطلق الروائي العنان لأفكاره ومخيلته من أجل تلوين الأحداث والوقائع بألوان يستقيها هو، يعمد المؤرخ إلى الموضوعية ما أمكنه على اعتبار أنه يقوم بتمثيل الأحداث والوقائع معتمدا، كما أسلفنا، على الوثائق المدونة والمرويات الموثوقة لينظم حكايته، غير أن هذه الموضوعية المزعومة تظل محل تساؤل ونقاش نظرا لتأثر المؤرخ بمحيطه الاجتماعي والثقافي والسياسي.

وعلى الرغم من الاختلاف الظاهر بين الكتابتين إلا أنهما تشتركان في مجموعة من الخصائص والمميزات التي تجعلهما يتقاطعان في مجموعة من النقط، إن على مستوى الشكل أو الوظيفة، **"فكلاهما يستمد قوته من التشابه مع الواقع، وليس من أي حقيقة موضوعية، وكذلك فإنهما يعدان بناءين لغويين استقرت لهما أشكالهما السردية، ولا يمتلك أيهما اليقين الكامل من ناحية اللغة أو البناء، كما أنهما تبدوان متساويين في مسألة التناص؛ أي استخدام نصوص سابقة في النسيج النصي المعقد لكل منهما"**[10]. إنهما ينتميان إلى الأصل التعبيري ذاته وهو السرد، أي سرد أحداث ووقائع، فكلاهما يقومان برواية أحداث وفق تسلسل زمني بغض النظر عن الأسس التي ارتكزت عليها هذه

الوقائع، سواء أكانت واقعية أو متخيلة، فعلاقة التداخل بينهما لا تحتاج إلى بحث أو استجلاء. وتبعا لذلك، تعد الكتابة التاريخية استمرارا أنطولوجيا تقوم عليه الكتابة السردية عموما.

إن الكتابتين التاريخية والسردية تعبير عن نشاط إنساني سلاحه اللغة والكلمات غايتهما تفسير التجربة الإنسانية، وبناء معالمها من خلال وضعها في قالب سردي يظهر الأحداث ضمن مسار زمني مسترسل ودال. وهو ما يطلق عليه **بول ريكور Paul Ricœur** بالحبكة أو التحبيك؛ أي مجموع الأنساق والترتيبات التي تتحول من خلالها الأحداث المتناثرة والمتفرقة والوقائع الغزيرة والمتنافرة إلى حكاية منسجمة وذات معنى. أي إنهما يرتبطان بالحكي وينتميان إلى الأصل التعبيري ذاته وهو الخطاب، فهما جنسان يعتمدان الخطاب الذي يهدف استرجاع الماضي وأحداثه وتفاصيله. ولما كان التاريخ يعنى باستحضار أحداث واقعية وقعت فعلا، بالحرص على سردها وفق المتوفر لديه من المصادر والوثائق والشهادات، يصطدم أحيانا بغياب مراجع تاريخية، وهو الأمر الذي يخلف ترك بعض البياضات والفجوات في العمل التاريخي، أو ما يمكن الاصطلاح عليه ب " **فراغات التاريخ**"، وهو ما يدفع المؤرخ إلى الاستعانة بمخيلته، وإطلاق العنان لفكره من أجل ملء تلك الفراغات وتأثيثها. وهذا يعني استعانة المؤرخ بالرواية من أجل ملء فراغات التاريخ، أو بمعنى آخر، الاستعانة بقدراته التخييلية من أجل إضفاء طابع من الانسجام والتماسك والاسترسال "**فالذاكرة لا تستوعب التفاصيل، بل تحتفظ فقط بالأحداث الكبرى، وعند إنتاجها سرديا/خطابيا تكون في حاجة إلى العديد من التفاصيل التي تكمل معالم الصورة لتصبح قابلة للإنتاج اللغوي وقابلة للقراءة**"[11]. ومن ثم، فإن فعل التذكر، في حد ذاته، فعل تخييلي تستعيد بوساطته الذاكرةُ ما تسرب إليها من صور ذهنية؛ هي بمثابة أحداث كبرى تحتاج بدورها إلى فعل تخييلي مضاعف لملء الفراغات والبياضات التي خلفتها الذاكرة والتاريخ باعتباره فعلَ ذاكرةٍ.

إن الكتابتين التاريخية والتخييلية (الروائية) هي كتابات تتميز بالتكامل، فكل منهما يلجأ إلى الآخر من أجل تغطية مجموعة من الجوانب التي تتطلب أحيانا توظيف وقائع حقيقية، وأحيانا أخرى وقائع متخيلة، وذلك ما عبر عنه **بيتر كاي Peter Gay** بقوله إن"**السرد التاريخي من دون تحليل تافه والتحليل التاريخي من دون سرد غير كامل**"[12]. وهو التصور الذي تبناه **بينيديتو كروتشي Benedetto Croce** عندما اعتبر أن السرد والتاريخ نظامان متصلان لا يمكن الفصل بينهما موظفا عبارته الشهيرة" **حيث لا يوجد سرد لا يوجد تاريخ**"[13]. إن التزام المؤرخ برواية الأحداث كما هي يجعل منه مقيدا، عكس الروائي الذي يجد الحرية الكاملة في التعبير والانطلاق والتحليل والتأويل والتفاعل، محاولا الغوص في أعماق الأحداث والشخصيات، ومنح القارئ هامشا للتفاعل والقراءة، ولما لا توظيف طاقاته التأويلية من أجل استخلاص الملاحظات والاستنتاجات. وهو ما يعني خلق علاقة تفاعلية مبنية على التأثير والتأثر بين القارئ والمقروء.

ومن ثم، فالقارئ مدعو إلى التفاعل مع النص السردي بطريقة تأويلية وتحليلية، ومدعو كذلك إلى فك شيفراته، وعيش علاقة افتراضية مع مكوناته وشخوصه، وهذا ما يفسر اللجوء إلى الكتابة السردية "**إذا سئِلتُ ما هو الغرض من كتابتك للقصة فلابد أن أجيب أن الغرض منها هو التعبير عن أشياء لا أعبر عنها بالتحليل العقلاني. لو كان التحليل العقلاني بالنسبة إلي كافيا للتعبير عن كل ما أحسه لما كان داع لكتابة القصة**"[14]. فالرواية تمثل فضاء أرحب وأوسع لتمثيل الواقع والتوسيع من ذاكرته، والحديث عن إكراهاته ومشاكله، إنها فضاء مفتوح ومتحرر من القيود، يمنح الروائي إمكانية الانتقاء من الأكوان الدلالية الكثيرة ما يناسبه هنا والآن، والتأكيد على أحداث بعينها بهدف رسم تصورات وبناء قناعات ولما لا تغييرها. أما الكتابة التاريخية فتظل مقيدة بالأحداث الحقيقية وتجعل الروائي سجين هذه الأحداث "**فكلما ارتفعت نسبة المادة التاريخية، اضطر الروائي إلى التقيد بالأحداث الحقيقية والشخصيات والأمكنة والأزمنة وضعفت في الوقت ذاته قدرته التخييلية الروائية، وبالتالي يصطدم العمل الروائي بقيود التاريخ الصارمة**"[15]. وذاك ما جعل الكتابة التخييلية كتابةً متحررةً من كل القيود التي تربطها بالعالم المرجعي المؤطر بالوقائع الفعلية.

إن الغاية من الكتابتين السردية والتاريخية هي تشييد ذاكرة جماعية بالاستناد إلى ذاكرات فردية مهددة بالانجلاء والنسيان والاندثار، واسترجاع الأحداث ليس من أجل الاسترجاع في حد ذاته، بل من أجل الاستفادة من الخبرات، وبناء ذاكرة مشتركة تجعل الفرد ينخرط في تجارب

الآخرين، ويتقبلها على اختلافها وتعددها وتنوعها. وتلك أهم أدوار السرد المتمثلة أساسا في نقل الذاكرة الفردية، والارتقاء بها إلى مصاف الذاكرة الجماعية أو الجمعية بغية تحقيق الوحدة الثقافية، ووصف تحولات العالم وتطوراته.

تأسيسا على ما سبق، تعد الرواية وجها من وجوه التاريخ، فهي تحكي قصة ما، قصة فرد أو جماعة أو مدينة أو شعب في إطار زماني ومكاني، والعلاقة بين الاثنين علاقة تواشجية متداخلة لا يمكن تجاهلها. فالكتابة التاريخية، كما الكتابة السردية، غايتها نسج المعرفة الإنسانية، وجعل العالم الخارجي فضاء مكشوفا قابلا للإدراك. وهو ما معناه أن الكتابة التاريخية لا تكشف عن نفسها إلا من خلال الكتابة السردية التي تظل غايتها إنتاج المعنى من خلال التنظيم السردي والبنى السردية. وهي الفكرة التي تبناها كل من **ريكو** و**هايدن وايت Hayden White** على اعتبار أن التاريخ إنشاء نصي للماضي، وهو إنشاء ذو طبيعة سردية وتخييلية مهما حاول إيهامنا بعكس ذلك. وهو ما يدعونا للقول إن السرد يحتاج إلى تاريخ والتاريخ يحتاج إلى سرد، وتوافر الاثنين من شأنه تكوين هوية سردية، بحيث " **لا تبنى الهوية السردية عند الأمم فيما يقوله التاريخ وحده، بل تتبلور، أيضا، استنادا إلى كل ما نسجته مخيلة الناس من حكايات وأساطير ومرويات وأمثال وحكم وأقوال وغيرها من فنون القول التي تعد جزءا من "تاريخ" تنكره مسلمات العلم التاريخي، ولكن الذاكرة الجماعية للشعوب تصدق عليه**"[16]. كما أن الهوية السردية التي يتحدث عنها **ريكو** تتأتى من خلال فعل التحبيك أو الحبك الذي يعد البؤرة التي يقع فيها التبادل والتمازج والتقاطع بين التاريخ والخيال بوساطة متقدمة للسرد. يعتقد **ريكور** "**أن السرد ليس أيقونة للأحداث التي تتحدث عنها، أو تفسيرا لتلك الأحداث أو إعادة صياغة بلاغية ل "الوقائع لإحداث أثر مقنع" إنه رمز يتوسط بين عوالم مختلفة للمعنى، وذلك ب "تشكيل" ديالكتيك علاقتها في صورة. وهذه الصورة لا تعدو كونها السرد ذاته، أي "تشكيل" الأحداث المذكورة في الإخباريات بكشف طبيعتها "التي تشبه الحبكة"**[17]. وهي صيغة أخرى للقول إن السرد يضفي صبغة التماسك والانسجام على أحداث متناثرةٍ ومتفرقةٍ ليشكل كونا دلاليا حافلا بالعوالم الرمزية والدلالية.

وتأسيسا على ذلك، فإن الوجود الإنساني مرتبط، بالضرورة، بالسرد الذي يزوده بذاكرة تاريخية والتي هي، في الأساس، ذاكرة جمعية "**فالحياة نفسها ما هي إلا بحث عن سرد لأنها تجاهد من أجل اكتشاف صيغة للتغلب على تجربة الرعب والفوضى**"[18]. فالعالم الخارجي لا يعدو أن يكون مجموعة من الأحداث والموضوعات المتناثرة في فضاءات ممتدة غير متمفصلة، وحدها اللغة قادرة على لم ذلك الشتات بالاعتماد على آلياتها في المفصلة الدلالية والتقطيع اللغوي. وبالتالي فإن التاريخ والسرد هما، في نهاية الأمر، منتوجات لغوية تقوم بوظيفتها في المفهمة الدلالية، وتوسيع مدلولات هذا الكون.

إن العلاقة بين الرواية والتاريخ هي علاقة جدلية ومتداخلة، تلتبس فيها المفاهيم وتتداخل على اعتبار أن الاثنين يقومان على مهمتي الإخبار والتعبير عن وقائع هي من صلب الواقع أو مستوحاة منه. وفي هذا السياق اقترح عبد الله إبراهيم مصطلح" **التخيل التاريخي**" في كتابه" **التخيل التاريخي**" عوض الرواية التاريخية على اعتبار أن التخيل التاريخي هو "**المادة التاريخية المتشكلة بواسطة السرد، وقد انقطعت عن وظيفتها التوثيقية والوصفية وأصبحت تؤدي وظيفة جمالية ورمزية، فالتخيل التاريخي لا يحيل على حقائق الماضي، ولا يقررها ولا يروج لها، وإنما يستوحيها بوصفها ركائز مفسرة لأحداثه، ومن نتاج العلاقة المتفاعلة بين السرد المعزز بالخيال، والتاريخ المدعم بالوقائع**"[19]. يمثل التاريخ، من هذا المنطلق، مكملا للسرد، وداعما له، واجتماعهما وتقاطعهما معناه بناء هوية سردية يتمازج فيها التاريخ والخيال بوساطة متقدمة للسرد. ومن ثم، يمكن الحديث عن وظيفة توثيقية يعنى بها التاريخ، وأخرى جمالية إبداعية يقوم بها السرد. وهو ما ذهب إليه **ريكور** عندما اعتبر أن السردية في التاريخ "**تؤدي للتوصل إلى فهم للأحداث التي تتحدث عنها أكثر مما تؤدي إلى تفسير لا يعدو كونه نسخة محققة لذلك النوع الموجود في العلوم الفيزيائية والاجتماعية**"[20]. ولعل من أبرز أوجه التعالق بين السرد والتاريخ "الحبكة" أو ما يصطلح عليه أيضا " العقدة"، وهي التي تفرض وجود تنظيم وتوليف متتاليين للأحداث وفق: بداية ووسط ونهاية. وهو الانتظام الذي يبحث عنه الإنسان بين ثنايا واقعه المعيش الذي يفتقد لأي أساس ينظمه، فيبحث عن ملجأ آخر يوفر له ما لم يستطع العالم الفعلي توفيره."**فالإنسان لا يسعى إلى إعادة عيش تجربته الذاتية، أي بمعنى آخر لا يسعى إلى محاكاة الواقع، وإنما يسعى إلى عيشه بطريقة مختلفة ربما يتجاوز فيها إخفاقاته ويحقق**

فيها أحلامه، ولما لا يبني حياة جديدة يعرف بدايتها ووسطها ونهايتها"[21]. وتلك هي الوظيفة الاستشفائية للسرد الذي يمنح القارئَ مساحةَ تخييليةَ يستحضر من خلالها عوالم أخرى تمنحه طاقاتٍ وأحلامًا وآمالاً وتصوراتٍ، أي يبني هوية جديدة يتقاطع فيها ما استمده من واقعه الفعلي، وما استبطنه وهو يتعلم كيف ينتمي إلى هذا العالم.

واستنادا إلى ذلك، يذهب **ريكور**، في تصوره، إلى وجود هوية سردية تبنى بتقاطع المحكيات التاريخية والحقائق الواقعية، وهو تعبير عن تكامل من شأنه بناء التاريخ وفهمه. فلا يمكن للتاريخ وحده تشييد عالم متكامل هو بمثابة هوية للفرد والجماعة على حد سواء، فنحن نحتمي دائما بعالم السرد والرواية للبحث عن تفسيرات لعالم الغيب والمجهولات التي تصادفنا، فأصل الكون هو حكاية، حكاية الماء والنار والحب وغيرها من المفاهيم المجردة التي أسست لها الأساطير روايات تشكل قسطا من الذاكرة الإنسانية، وبالتالي **"لا يمكن للهوية أن تتبلور استنادا فقط إلى وقائع يصدق عليها العلم أو يجيزها التاريخ وحده، كما لا يمكن أن تكون مجرد إخبار عن وضع اجتماعي أو انتماء ديني، إنها تتشكل بالإضافة إلى ذلك كله، ضمن ما يمكن أن تنتجه الممارسة، مجازا أو حقيقة، وتحتفظ به الذاكرة باعتباره جزءا من تاريخ شامل وهو ما يسميه بول ريكور " الهوية السردية"**[22]. إن الهوية السردية، من هذا المنطلق، هي علاقة تفاعلية بين الأنا والآخر، أو بصيغة أخرى هو ما تبنيه الذات باعتبارها ذاتا مستقلة، وما يفرض عليها باعتبارها ذاتا تنتمي إلى مجتمع يجبرها على الامتثال إلى قوانينه ونظمه وضوابطه.

وعلى الرغم من كل الاختلافات الظاهرة بين التاريخ والسرد، يذهب كل من **هايدن وايت** و**بول ريكور** إلى كون التعارض بينهما من حيث المفهوم والوظيفة ليس سوى تعارضا على مستوى الظاهر، أما في المضمون فهما يؤديان الوظيفة ذاتها، والمتمثلة في بناء ذاكرة إنسانية جمعية، والتعبير عن الواقع ومكنوناته بالاعتماد على اللغة والبناء **"فبمجرد أن أقررنا أن كتابة التاريخ ليست شيئا يضاف من الخارج إلى المعرفة التاريخية، بل هي شيء من داخلها، فلا شيء يمنعنا من الإقرار أيضا أن التاريخ يحاكي في كتابته الخاصة أنماط الحبك التي يتداولها تراثنا الأدبي**[23]. ومن ثم فإن **"أي تفكير في التاريخ على أساس أنه بحث وفي المؤرخ باعتباره باحثا، سيقوم بالضرورة إلى تلمس حقيقة مفادها أن الأدب والتاريخ يسعيان معا إلى تشكيل صورة واقع مخلوق من الكلمات"**[24]. فالكتابة التاريخية لا تكشف عن نفسها إلا من خلال الكتابة السردية التي تبتغي إنتاج المعنى من خلال التنظيم السردي، هذا الأخير الذي يسمح بانتظام معطيات وأحداث ووقائع في قالب دال يستطيع اختراق حدود الثقافات **"إن السرد معطى إنساني كوني يمكن على أساسه نقل الرسائل عبر الثقافات حول طبيعة واقع مشترك وكما يقول بارت، فإن السرد الذي ينشأ بين تجربتنا للعالم وجهودنا لوصف تلك التجربة عن طريق اللغة يحل باستمرار محل معنى النسخة المباشرة للأحداث التي يتم سردها"**[25]. إننا نبتغي من خلال الكتابتين الحفاظَ على الموروثات الثقافية والاجتماعية والسياسية، وبناء ذاكرة إنسانية كونية، ومن خلالها بناء ذات إنسانية قادرة على الانصهار في واقعها الاجتماعي. إننا أمام صيغ كونية تُجَمّع ما يعيشه الإنسان وباقي الموجودات الأخرى لتشكل قاعدة وأساسا هما بمثابة ذاكرة جمعية.

وفي هذا الاتجاه يؤكد **وايت** أن الكتابة التاريخية، بالرغم من طابعها الإخباري التقريري، إلا أنها ذات طبيعة تخييلية تستند إلى التخييل في بنائها، بحيث ينسب **"السرد التاريخي لجنس الخطاب البلاغي الذي يمكن اعتباره خطابا رمزيا لا يستمد قوته الأساسية من محتواه الإخباري، وإنما من وظيفته التخييلية"**[26]. أي إن التاريخ بدوره خطاب مشفر يستعين بالتخييل والمجاز من أجل بناء مضامينه ودلالاته. غير أن طبيعة تقديم المعطيات وبسطها هو ما يجعلنا نتعلق بالمروي، وندفع إلى تصديقه باعتباره حقائق ثابتة حتى وإن لم تكن كذلك، **"فالخطاب التاريخي أو الخطاب المقدم باعتباره سردا للأحداث هو الذي يجعل الحقيقي مرغوبا فيه بفرض شكل له، وجعله منسجما فالسرد يُنَمْذِجُ الحقيقة من خلال التوفيق بين الروايات واقتيادها نحو نهاية ما"**[27]. وهنا تكمن قوة السرد في إكساب الأحداث والوقائع صفة الحقيقة المطلقة التي لا يمكن التشكيك فيها، وذلك من خلال قدرته على بناء عالم متخيل مكتف بذاته يرتب الأحداث ويؤلف بينها فيجعلها أحداثا تستوطن الذاكرة والوجدان.

واستنادا إلى ذلك، يذهب **وايت** إلى أن العلاقة وطيدة ومتشابكة بين الأدب والتاريخ معتبرا أن السردية تضيف إلى التاريخ بعدا أدبيا وبلاغيا، وتضفي جانبا من التشويق والإثارة على الحبكات العارضة والثانوية. وهو ما يجعل التاريخ سردا يمتح أرضيته من الواقع ويؤثثها من الأدب. إن السرد يسهم في بناء الواقع وتشكيل المضامين الإيديولوجية والسياسية، ويضفي طابعا فنيا وأدبيا، باعتبار كل الأعمال التاريخية تأخذ شكل السرد من خلال تمثيل متماسك ومنظم لأحداث حدثت بتسلسل زمني؛ بل يذهب **وايت** أبعد من ذلك عندما يعتبر أن التأويلات والتفسيرات التاريخية هي تفسيرات بلاغية وشعرية بطبيعتها، وأن النصوص التاريخية عبارة عن حقائق أدبية وتاريخية. ومن ثم، يوجه نقدا راديكاليا للمنهج التجريبي التاريخي، ويقوض مسألة الحقيقة الموضوعية في كل عمل تاريخي، هذا الأخير الذي يقتضي بالضرورة، حسب **وايت**، إجراءات خيالية تجعل منه مادة مثيرة ومشوقة، فالمسألة لا تتعلق بنزعة موضوعية تجريبية، وإنما ببناء متماسك، وانتقاء للأحداث التاريخية ووضعها في قالب سردي. ويوضح، في السياق ذاته، أن هناك أربعة أساليب بلاغية يقدم من خلالها المؤلفون تأويلاتهم، وهي الاستعارة والكناية والمجاز والسخرية، وفي المقابل يشكل المؤرخون العمليات التاريخية في أعمالهم بالاعتماد على أربعة أجناس أدبية وهي الرومانسية والتراجيديا والكوميديا والهجاء. وهو بذلك يحاول ضرب الفكرة القائلة بأن الدراسات التاريخية تمثيل دقيق للواقع، وفي المقابل يصف التاريخ بكونه نصوصا إبداعية تتألف من مجموعة من التراكيب السردية والبلاغية التي تجعل الرواية التاريخية متسقة ومحبوكة، وبالتالي يعارض أولئك الذين يعتبرون التاريخ علما له نهجه وقوانينه وضوابطه.

وفي كتابه "**ما وراء التاريخ ومحتوى الشكل**" عبر **وايت** عن أهمية السرد باعتباره وسيطا فعالا لا تمتلكه كل الثقافات، ينهض بدور محوري في جعل التجارب الإنسانية قابلة للترجمة، وفي إضفاء المعنى على العالم الواقعي الذي تتميز فيه الأحداث بالتشتت والتنافر. فالذات الإنسانية تبحث عن المتراص والمنظم، ولم شتات التجارب المتناثرة والأحداث المفككة، وعيش تجربة تصالح مع الواقع المعيش من خلال نسج علاقة مع واقع آخر متخيل يوفره له السرد الذي يعد "**نظاما فعالا على نحو خاص للإنتاج الخطابي للمعنى، يمكن بوساطته تعلم الأفراد أن يعيشوا علاقة خيالية مع ظروف وجودهم الواقعية، أي علاقة واقعية لكنها ذات معنى للتشكيلات الاجتماعية التي يجبرون على عيش حياتهم فيها وتحقيق مصائرهم كذوات اجتماعية**"[28]. ومن ثم، تستمد الذاتُ من العالم السردي التخييلي مقومات تجعل منها تتميز بخصائص ومميزات مخصوصة ومتفردة تميزها عن باقي الذوات الأخرى. إن السرد ينطلق من التجربة الإنسانية المعيشة من خلال استرجاع أحداثها لبناء عالم سردي متماسك ومنظم يجمع بين الواقع والخيال "**هذا الاسترداد هو ما يجعل من عمل المؤرخ جهدا استعاريا يتوسل بالخيال من أجل أن يتمكن من تصويره لنا من خلال حبكة بلاغية**" [29]، وبما أن الحدث بناء بالأساس، وليس مجرد واقعة عينية ثابتة وقارة، فإنه لا فرق بين ما يقوم به المؤرخ وما يقوم به الروائي على صعيد التمثيل. وذلك على اعتبار أن التاريخ لا يمكن أن يكون مفصولا عما ينيه عالم السرد.

وتبعا لذلك تستعين الكتابة التاريخية بتقنيات وأساليب بلاغية لسرد وقائع تاريخية مثل الحبكة والتأليف ووجهة النظر، وفي غياب كل هذه الأساليب والآليات تظل الكتابة التاريخية كتابة عقيمة، يغلب عليها الطابع الفردي المخصوص الذي يجعلها تجربة حبيسة حدود فئة بعينها؛ وبالتالي غير قادرة على تخطي مجال زماني ومكاني معينين. وهو ما معناه محدودية الكتابة التاريخية في مقابل اتساع رقعة الكتابة السردية وانتشارها بشكل كبير، الأمر الذي يجعلها تتميز بسلطة معرفية، ووظيفة ثقافية، ودلالة اجتماعية عابرة للثقافات.

ومن هذا المنطلق، فإن السرد والتاريخ يستندان في بنائهما إلى استراتيجية ومنهجية متشابهتين، أي إنهما، على المستوى الشكلي، يتبنيان المقاربة ذاتها في سرد الأحداث والوقائع، سواء أكانت هذه الوقائع حقيقيةً أو مستوحاةً من الخيال، غير أن التاريخ ينتج قارئا وظيفيا يطلع بمعرفة مخصوصة، بينما ينتج التخييل قارئا متخيلا قادرا على التحليل والتفاعل، "**فالأحداث التاريخية والتخييلية تنتقل من خلال استراتيجيات متشابهة، وبالتالي لا فرق بينها على المستوى الشكلي. ومن ثم يركز وايت على مشكلة الذات القارئة التي يمكن أن ينتجها شكل خطابي معين، ويجادل في كون التاريخ، على الأقل، في شكله التقليدي " مناسب على نحو خاص لإنتاج المواطن الملتزم بالقانون**"[30]. وهو ما معناه أن التاريخ يضع القارئ أمام خطاب موجَّه غايته إنتاج مواطن ملتزم بالأعراف والنظم والقوانين، بينما يبحث السرد عن قارئ يتفاعل مع المقروء ليشيد عالمه الخاص الذي يتحرر فيه من كل القيود والأصفاد التي يفرضها العالم الفعلي.

وفي السياق ذاته أكد **ريكور** على الخاصية السردية للتاريخ، فمن المنظور الريكوري الذي يتأسس على مفهوم المحاكاة تتسم تجربة الزمن بالنشاز بصورة أساسية، ويضفي الأدب في شكله السردي التناغم على هذه المعضلة من خلال اتباع حبكة، ذلك أن السرد هو توليف المتغاير الذي تجمع فيه عناصر العالم البشري المتباينة. وفي السياق ذاته عبر **وايت** عن الموقف ذاته من خلال إيلائه أهمية كبرى للسرد باعتباره وسيطا فعالا تمتلكه كل الثقافات، ينهض بدور محوري في جعل التجارب الإنسانية قابلة للترجمة، وفي إضفاء المعنى على العالم الواقعي الذي تتميز فيه الأحداث بالغزارة والشتات والتنافر. وقد خلص إلى أن إنكار البعد الأدبي لبناء السرد التاريخي أفقر فهمنا للتجربة الإنسانية بوصفها صراعا دائما للتحرر من الأصفاد التي تفرضها الثقافة الإنسانية على ذاتها. إن التاريخ يفرض ما يمكن الاصطلاح عليه ب "**الانضباط**" على حساب الرغبة، وهو ما يجعل العمل التاريخي محدودا ومقيدا عكس السرد الذي يفتح نوافذ رحبة للكتابة المشرعة على الماضي والحاضر وكذلك المستقبل. إن السرد، من هذا المنطلق، ليس نمطا خطابيا وحسب، بل نمط حياة (**mode de vie**)، فالسرد لا يمكن حصره في نوع أدبي واحد، لقد اتسع ليشمل كل جوانب الحياة. ولعل من أبرز أوجه الاختلاف بين السرد والتاريخ استناد الأول إلى مرجعية خيالية تعتمد الخلق والإبداع والبناء، بينما استناد الثاني إلى مرجعية واقعية تنهل من وقائع تم العثور عليها؛ أي إنها وقائع لا تبنى، وإنما يتم توظيفها اعتبارا لوجودها الفعلي. غير أن هذا التصور لا ينفي أو يفند اعتماد المؤرخ على الخيال، فكثيرا ما تغفل الذاكرة عن معطيات وأحداث يتدخل الخيال لملئها وسدها، وهو ما معناه وجود أحداث يتم تجاوزها أو تجاهلها، وهو ما يمكن الاصطلاح عليه ب "**مهملات التاريخ**" أو "**التاريخ المسكوت عنه**"، وهو ما يتطلب من المؤرخ توظيف طاقاته وقدراته التخييلية من أجل تأويل المعطيات بغية استكناه الحقائق، واستخلاص الملاحظات والاستنتاجات. إن القارئ يتطلع لذلك التقطيع الزمني المتسم بالوحدة والانتظام والانسجام والتماسك، الذي يجعله يعيش واقعا متخيلا يلامس أحاسيسه ومشاعره وانفعالاته، ويدفعه إلى تصديق مضامينه، وهنا نتحدث عن النجاعة في البناء، والصياغة، وإيصال الفكرة، فالغاية ليست التركيز على الموضوع، أو المفهوم في حد ذاتهما، وإنما بناء فكر يجعل الجميع جزءا منه يتأثر به، ويتفاعل معه؛ أي بناء واقعة ثقافية تبسط وتوضح وتفسر العام والمجرد والمهمش. ومن هذا المنطلق فصياغة حكاية تاريخية بطريقة ناجعة ومحبوكة، يجعل السرد وسيلة لكشف مهملات التاريخ ومنسياته.

والمعلوم أن مبدأ اشتغال كل من المؤرخ والسارد مبني على الانتقاء من الأكوان الدلالية، وهذه الانتقائية تظل محدودة ومقيدة بالنسبة للأول، بينما مفتوحة ومحررة بالنسبة للثاني، فكل منهما يجد نفسه أمام مجموعة من الخيارات المتاحة إن من حيث السردية أو الأسلوبية، غير أن انتقاءهما لسردية معينة ليس من باب الصدفة أو الحياد، وإنما عملية مدروسة تتدخل فيها الذاتية، ومجموعة من الاعتبارات الأخرى المتعلقة أساسا بالتوجهات السياسية والثقافية والاجتماعية، أو بصيغة أخرى تتحكم فيه الموسوعة التي يغترف منها الروائي أو المؤرخ. فمن خلال هذه الخيارات، وبالاعتماد على مخاتلة اللغة وجماليتها، نبني عوالم قادرة على احتضان بنى دلالية عديدة ونلبسها ثوب الانسجام والترابط والتماسك، بغية الخروج من دائرة عالم ضيق إلى دائرة عالم أرحب وأوسع. وهذا هو المغزى من تمثيل الأحداث بواسطة السرد، فهو عملية إبداع وإنتاج وخلق بواسطة اللغة والكلمات.

ومن ثم، يعتمد السارد (الروائي)، عكس المؤرخ، على التوظيف المكثف لمصطلحات الصورة والتصوير والوصف والتخييل، وهي أدوات يتوسل بها من أجل سبر أغوار الأحداث والشخصيات، وبناء عالم متكامل غير محكوم بالإحالة المرجعية والنموذج الاجتماعي. إننا، من خلال السرد، نسعى إلى إغناء صورة الإنسان وتعميقها، فالسرد ليس مجرد محاكاة لواقع معيش، وإنما خلق دينامي يتمتع بحس جمالي يسهم في إغناء المتخيل الإنساني من أجل الوصول إلى فهم أكبر وأعمق لإنسانية الإنسان وتصوراته. فالتصوير الروائي يغني التجربة الإنسانية ويطوعها، ويجعل المتلقي يمتلك مفاتيح الكون من خلال الإلمام بمختلف التجارب التي يمر بها الآخر "**فالتصوير الروائي والقصصي يفتح أمام المتلقي آفاق المشاركة في التخييل وبناء الصورة وتشكيلها انطلاقا من تفاعله مع علامات النص وفق استراتيجيات وخطاطات يومئ إليها النص ذاته**"[31]. وذلك ما يجعل الكتابة السردية تتفوق على الكتابة التاريخية لأنها تجعل القارئ أو المتلقي فاعلا في العملية، وتدفعه للتفاعل مع المقروء وكأنه مسهم في كتابته وفاعل في صياغة تفاصيله، فهي تفتح النشاط التوقعي للقارئ الذي يعد، بحق، مظهرا حيويا لا يمكن تجنبه أو تجاوزه في عملية القراءة. فالقصة تنتمي إلى المتخيل الإنساني الذي يشكل "**عالما موازيا قد يكون مكملا أو معدلا أو مناقضا للعالم الواقعي، إلا أنه عالم**

ضروري حتى في العصر الحديث"[32]. إن حاجتنا إلى القصة مثل حاجتنا إلى التاريخ أو تتجاوز حاجتنا إليه على اعتبار أنها تفتح الباب أمام عوالم أخرى تبنى على هامش واقعنا الحقيقي الفعلي، قد تختلف عنه لكنها تنهل منه وتوسع من دلالاته. فالروايات والقصص تصوغ عوالم تخييلية سردية "**لا تحضر فيها الصورة إلا عبر العلامات اللغوية والإشارات البلاغية والمسارات الحكائية التي تبرز من خلالها ملامح التمثيل المضاعف ويتحقق ذلك الغياب الذي تحدث عنه فتغدو الصورة الروائية أو القصصية، نتيجة لذلك متميزة بتلك الخاصية التناسبية المزدوجة القائمة حضور واقع – خيال"** [33]. وهو ما يضع القارئ أمام تمثيل متماسك ومنسجم، يختلط فيه الواقعي بالمتخيل ليرسم عالما أكثر تكاملا واتساقا تغدو فيه الحقيقة ممثلة بشكل مضاعف.

إننا لا نسعى إلى محاكاة الواقع واستنساخه، بقدر ما نسعى إلى فهمه وإغنائه بتصورات ورؤى وتجارب،" **إن السردية في التأريخ تؤدي للتوصل إلى فهم الأحداث التي نتحدث عنها أكثر مما تؤدي إلى تفسير لا يعدو كونه نسخة محققة لذلك النوع الموجود في العلوم الفيزيائية"**[34]. وهو ما يستدعي توسل التاريخ بالتخييل، فتوظيف هذا الأخير لا يهدد موضوعية المعرفة التاريخية وواقعيتها؛ بل بإمكانه تحقيق مزيد من الفهم والاستيعاب، ومن ثم، يمكنه مد جسور هذه المعرفة التاريخية من خلال جعلها معرفة عابرة للقارات، وذلك بإكسابها صبغة ثقافية، أي صبغة جماعية "**قد لا نكون قادرين على فهم الأنماط الفكرية الخاصة بثقافة أخرى بشكل كامل، لكننا نواجه صعوبة أقل نسبيا في فهم قصة مستمدة من ثقافة أخرى، مهما بدت تلك الثقافة غريبة عنا"**[35]، بل بإمكانه أن يجعل الفرد يتغلب على ظروفه الاجتماعية بعيش واقع متخيل يتفوق على واقعه ويتجاوزه، وذلك بخلق علاقة خيالية مع واقعهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي كما أسلفنا.

الهوامش:

[1] هايد وايت، **محتوى الشكل: الخطاب السردي والتمثيل التاريخي**، ترجمة نايف الياسين، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ط 2017، ص. 28.

[2] معجم الوسيط، **مكتبة الشروق الدولية، القاهرة**، ط 2005، ص. 13.

[3] مصطفى النحال، **الرواية والتاريخ: حدود الكتابة السردية**، الفاصلة للنشر، طنجة، ط 2023، ص. 9.

[4] ابن خلدون: **المقدمة**، الدار التونسية، تونس، ط 1984، ج 1، ص. 67.

[5] عبدالله العروي، **مفهوم التاريخ**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2015، ص. 34.

[6] عبدالله العروي، **مفهوم التاريخ**، مرجع سابق، ص. 80.

[7] سعد محمد رحيم، **سحر السرد دراسات في الفنون السردية**، دار نسيوي للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، ط 2014، صص. 8، 9.

[8] Jacques derrida, " *the law of genre*," critical inquiry, (57) v 01-7, no. 1, 1980,p 60.

[9] هايدن وايت، **محتوى الشكل الخطاب السردي والتمثيل التاريخي**، مرجع سابق، ص. 213.

[10] ليبتدا متشون، **رواية الرواية التاريخية، تسلية الماضي**، ترجمة شكري مجاهد، فصول، العدد 2، ط 1993، صص. 96، 97.

[11] سعيد جبار، **التخييل الروائي السرد وإنتاج المعنى**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط 2023، ص. 10.

[12] Peter Gay,*Style In History*, New York, 1974,p 189.

[13] Storia ridotta, sotto *il concetto generale dell',* arte (1893), in : primi sagi (Bari, 1951), pp 3-41.

[14] طارق غرماوي، **المفكر المغربي روائيا**، مقال على الخط http://81.144.208.20:9090/pdf/2012/12/12-11/qad.pdf تاريخ الدخول على الموقع 2015/09/20.

[15] سمر روحي الفيصل، **الرواية العربية البناء والرؤيا**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط 2003، ص. 7.

[16] سعيد بنكراد، **الهوية السردية المحكي بين التخييل والتاريخ**، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، ط 2023، ص. 55.

[17] نفسه.

[18] ريكو بول، **الذاكرة والسرد: حوارات**، ترجمة وتقديم: سمير مندي، دار كنوز، الأردن، ط 2016، ص. 30.

[19] عبدالله إبراهيم، **التخيل التاريخي السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط 2011، ص. 5.

[20] هايدن وايت، **محتوى الشكل: الخطاب السردي والتمثيل التاريخي**، مرجع سابق، ص. 128.

[21] أحمد بوحسن، **الروائي والتاريخي في رواية كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 2010، ص. 16.

[22] سعيد بنكراد، **الهوية السردية: المحكي بين التخييل والتاريخ**، مرجع سابق، صص. 87، 88.

[23] بول ريكور، **الزمن والسرد الزمان المروي، الجزء الثالث**، ترجمه سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط 2006، ص. 337.

[24] Ivan Jablonka, *L'histoire est une littérature contemporaine* : manifeste pour les sciences sociales (paris : seuil, 2014), p 3.

[25] هايدن وايت، **محتوى الشكل الخطاب السردي والتمثيل التاريخي**، مرجع سابق، ص. 28.

[26] Taib Belghazi, *Time And Postmodernism*, Op. cit., p 170.

[27] Ibid p 168.

[28] هايدن وايت، **محتوى الشكل: الخطاب السردي والتمثيل التاريخي**، مرجع سابق، ص. 21.

[29] بول ريكو، **الذاكرة والسرد، ترجمة وتقديم سمير مندي**، مرجع سابق، ص. 13.

[30] بول ريكو، **الذاكرة والسرد، ترجمة وتقديم سمير مندي**، مرجع سابق، ص. 21.

[31] مصطفى الورياغلي، **الصورة الروائية دينامية التخييل وسلطة الجنس**، منشورات العبارة، الرباط، ط 2012، ص. 32.

[32] أحمد اليبوري، **في الرواية العربية، التكون والأشغال، المدارس**، الدار البيضاء، ط 2000، ص. 2.

[33] نفسه، ص. 2.

[34] هايدن وايت، **محتوى الشكل: الخطاب السردي والتمثيل التاريخي**، مرجع سابق، ص. 134.

[35] نفسه، ص. 28.